

## الحلقة (٢٥)

موضوع هذه الحلقة ذات الرقم (١٩٧) من سورة البقرة:

يقول الباري تعالى {الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ} قوله تعالى: {الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ} في كلمة الحج لغتان وفيها قراءتان على هاتين اللغتين، جاء عن العرب الفتح والكسر، الحج بالفتح لغة أهل الحجاز، وبالكسر لغة تميم وقيل أنها أيضا لأهل نجد، قرأ الجمهور بالفتح، وهناك قراءة شاذة قرأ فيها الحسن بالكسر ولكنها قراءة شاذة. ومعنى هذه الجملة {الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ} قال الفراء وقت الحج هذه الأشهر، وقال الزجاج أن أشهر الحج أشهر معلومات.

وقد اختلف العلماء في المراد بأشهر الحج ما المراد بأشهر الحج؟ على قولين:

- القول الأول: أنها شوال وذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة، وهذا قول أكثر أهل العلم قاله ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير، وروي عن جملة من التابعين كالحسن وعطاء وابن سيرين والشعبي وطاوس وقال به الإمام أبي حنيفة والإمام أحمد والشافعي.
- القول الثاني: أن المراد بأشهر الحج أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة (يعني كل شهر ذي الحجة) وهو مروي أيضا عن ابن عمر وعطاء ومجاهد وطاوس.

قد يقول سائل ما المراد إذن؟ هل يمكن أن يحج إنسان بعد يوم عرفة والنبي عليه الصلاة والسلام قال: (الحج عرفة)، قال: الإمام ابن جرير الطبري "شيخ المفسرين" إنما أراد هؤلاء أن هذه الأشهر ليست أشهر العمرة، وإنما أشهر الحج، وإن كان عمل قد انقضى بانقضاء منى، وكانوا يستحبون أن يفعلوا العمرة في غيرها.

قال ابن سيرين ما أحد من أهل العلم شك أن عمرة في غير أشهر الحج أفضل من عمرة في أشهر الحج، إذن المقصود بالقول الثاني أنهم أرادوا أن الإنسان لا يأتي بعمرة في أشهر الحج، بعد الحج، وإنما ينشيء لها سفرا جديدا، ومن أراد أن يأتي بعمرة بعد الحج فلا حرج عليه، هذا على رأي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنهما لا يستحبون التمتع للناس، وإنما ينشيء سفرا جديدا حتى لا ينقطع الزوار عن الحرم.

العلماء ذكروا أن هناك مواقيت مكانية ومواقيت وزمانية.

المواقيت الزمانية: هي ما سبق، والراجح أنها شوال وذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة، والفائدة من هذا أن الإنسان لا يلبي بالحج إلا في هذه الأشهر، ثم أيضا ومن الفوائد لو أتى بعمرة وحج في هذه

الأشهر ولم تنقطع عمرته أي لم يرجع إلى بلده فإنه يعد متمتعاً، وهذه مسائل معروفة، المهم أن الراجح في المراد بالأشهر شوال و ذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة.

**لماذا قال تعالى الحج أشهر مع أنها شهران ونصف؟** قالوا إن هذا على عادة العرب أنها تجبر الكسر، وفي بعض الأحيان تُوقع الجمع على الاثنين، وقد ذكر ابن الأنباري في توجيه هذا وجهين: أحدهما: أن العرب توقع الجمع على التثنية قوله تعالى { **أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ** } والمراد هنا عائشة وصفوان في قصة حادثة الإفك، ومع ذلك جاء الجمع هذا فيه إطلاق الجمع على التثنية، وأيضاً قوله تعالى { **وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ** } وما كان في القضية إلا داود وسليمان عليهما السلام.

- **الوجه الثاني:** أن العرب توقع الوقت الطويل على الوقت القصير، فيقولون قُتل ابن الزبير أيام الحجاج وإنما كان القتل في وقت قصير، هل هو قتل في كل الأيام لا.
- **والوجه الثالث:** أن العرب تجبر الكسر.

◀ **مسألة:** لو أن شخصاً أحرم قبل أشهر الحج مثلاً في شعبان أو رمضان؟ فمذهب عطاء ومجاهد وطاووس والشافعي أنه لا يجزئه ذلك لهذا الدليل. وهناك قول آخر أنه يرى جواز ذلك، ويقول إن المقصود بالآية أن معظم الناس يحجون في هذه الأشهر، ولكن القول الثاني مرجوح والقول الأول هو الراجح.

قوله تعالى { **فَمَنْ قَرَضَ فِيهِِنَّ الْحَجَّ** } **ما المقصود بفرض؟ فيها أقوال:**

- **القول الأول:** قال ابن مسعود هو الإهلال بالحج والإحرام به، وهذا هو الأرجح المقصود به الإهلال، قول لبيك عمرة ولييك حجا، يعني أحرم أهل بالحج، وقول طاووس وروي عن علي.
- **القول الثاني:** قول علي وابن عمر ومجاهد أنه إذا قلد بدنته فقد أحرم، وهذا معروف عند العرب ولا يزال، والمقصود إذا قلد بدنته ونوى الدخول في النسك، وليس التقليد وحده.
- **القول الثالث** أنه لا يجوز الدخول في الإحرام إلا بالتلبية أو تقليد الهدي وسوقه، على كل حال الراجح أنه لا يكون الدخول بالإحرام إلا بالتلبية.

قوله تعالى: { **فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** }، كلمة فلا رفث **فيها قراءتان:**

**القراءة الأولى** قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ومعهم من غير السبعة أبو جعفر، فلا رفث ولا فسوق بالتثنية بالضم على آخره.

**القراءة الثانية:** قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بغير تنوين، قراءتنا حفص عن عاصم { **فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ** } أما ولا جدال مجمعون على أنها بفتح اللام وليست لها قراءة أخرى.

**إذن ما توجيه هاتين القراءتين؟** قال أبو علي الفارسي في كتابه الحجة للقراء السبعة أي من فتح يرى أنه نفى جميع جنس الرفث والفسوق كقوله تعالى { **لَا رَيْبَ فِيهِ** } نفى جميع الريب، أما لام الجدال هذا يتناول نفى جميع الجنس، فجعلت الكلمات الثلاث كلها لنفي جميع جنس الرفث وجميع جنس

الفسوق وجميع جنس الجدال، هذا توجيه من قرأ بالفتح.  
وحجة من رفع أنه قد علم من فحوى الكلام نفي جميع الرفث، وقد يكون اللفظ واحد والمراد بالمعنى الجميع، وعلى كل حال فهما قراءتان ثابتتان عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

### ما المراد بالرفث؟ ثلاثة أقوال:

• القول الأول: أنه الجماع وهو أشد محظورات الإحرام، قاله ابن عمر والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وغيرهم.

• القول الثاني: أنه الجماع وما دونه من التعريض، قالوا الجماع ومقدماته.

• القول الثالث: أنه اللغو من الكلام، أي لغو، كلام باطل لا مصلحة فيه.

ولا شك أن الأقوال الثلاثة كلها صحيحة، وأعظمها بلا شك الجماع وله أحكام تترتب عليه، ومقدماته ودواعيه، فعلى الحاج أن يترفع عنها ويتركها.

قوله تعالى {فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ} المراد بالفسوق: ثلاثة أقوال وكلها صحيحة:

• القول الأول: أنه السباب قاله ابن عمر وابن عباس.

• القول الثاني: أنها التنايز بالألقاب، رواه الضحاك عن ابن عباس.

• القول الثالث: أنها المعاصي (فالمعاصي شاملة لكل ماذكر) وهذا هو القول الراجح.

قوله تعالى {وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} الجدال في اللغة هو المراء والمخاصمة بغير حق، لكن ما المراد به هنا في الآية؟

### على قولين:

• القول الأول: أنه لا يمارين أحد أحدا فيخرجه المراء إلى الغضب، وفعل ما لا يليق بالحج، وذهب إلى هذا ابن عمر وابن عباس وطاوس وغيرهم.

• القول الثاني: أنه لاشك في الحج ولا مراء، فإنه قد استقام أمره وعرف وقته، وزال النسيء عنه، إلى آخره، وأيضا يدخل في هذا أن لا يجادل الإنسان في أحكام الحج.

وقوله تعالى {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ} حقيقة هذه فيها ترغيب وترهيب، فيها ترغيب أن الإنسان ينشط لفعل الخير عامة، وفيها ترهيب أن الإنسان يتقي الله، لا يتهاون في أداء مناسك الحج، بل يعظم شعائر الله {ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} فعليه أن يحذر من أن يقع في الذنوب، وإن وقع فعليه التوبة من ذلك.

ثم قال تعالى {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} أمر الله تعالى أن يتزود الإنسان، وأن لا يكون عالة على غيره، والعلماء لما ذكروا شروط الحج ذكروا: الزاد والراحلة، فمن لا يستطيع لأنه فقير لا يحج، فلا يسأل الناس لأجل الحج، ولا يكون عالة على الناس، ثم ذكر الله أن أفضل الزاد هو زاد التقوى، وذكر ابن عباس أن جماعة من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون ويسألون

الناس، وروى أن عمر رضي الله عنه أنه قال من أنتم؟ قالوا نحن المتوكلون، فضربهم بالدرة وقال بل أنتم المتأكلون، بذل الأسباب من التوكل على الله، والله نبه هنا أن خير الزاد التقوى، والشاعر يقول:

تزود من التقوى فإنك لا تدري\*\*\*إذا جن ليل هل تصير إلى الفجر

فكم من صحيح مات من غير علة\*\*\*وكم من عليل عاش حيناً من الدهر  
والمعروف أنه في الكتاب والسنة إذا جاء الحديث عن أمر من أمور الدنيا ينبه المسلم أن هناك ما هو خير وأعظم وهو زاد التقوى، فهناك في اللباس لما أمرنا بأن نظهر نعمة الله علينا ذكر الله تعالى: **{وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ}** فهنا تنبيه أن المسلم وإن كان يؤمر بأن يأخذ استعداداً وعدته، لكن ينبه إلى ما هو أعظم وهو تقوى الله وفي دين الله، وفي الحديث الصحيح أن الصحابة لما كانوا يتناقلون قطعة من حرير أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان يريد أن يهديه إلى نسائه، قال صلى الله عليه وسلم: **{لنناديل سعد في الجنة أرق أو أنعم منها}**، نقلهم الرسول من الدنيا إلى الآخرة.

ثم قال تعالى **{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}** الأمر بالتقوى جاء كثيراً في آيات الحج، وبلا شك، العلماء قالوا أن من علامات الحج المبرور أن يرجع الحاج بحال أفضل مما كان عليها من قبل ذلك، ومن الأحوال الطيبة تحقيق مقام التقوى لله تعالى بأن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه